ترجمة وتقديم:
جود أبو شرار *

# صهيونية بلا استعمار؟
# رسالة استقالة هانس كُون من «كيرن هايسود»

## المقدمة

ادناه ترجمة لرسالة استقالة قدمها هانس كُون (Hans Kohn) أثناء ترك منصبه في "كيرن هايسود"، (أو الصندوق التأسيسي، United Israel Appeal).[1] تكتسب هذه الرسالة أهميتها من كُونها صوتًا نقديًا خرج من قلب المشروع الصهيوني نفسه؛ لم يكن "كُون" خصمًا للصهيونية، بل أحد منظّريها الثقافيين الذين سعوا إلى تخيّل قومية يهودية أخلاقية، بلا أسس استعمارية أو علاقات قمعية/تفوقية تجاه الفلسطينيين! غير أن هذا التصوّر اصطدم مبكرًا بالممارسات العنيفة للصهيونية السياسية التي حملت منذ بداياتها بذور قمع الفلسطينيين وإقصائهم العنيف، ما دفع كُون إلى قطيعة مع المؤسسات التي خدمها. ليست ترجمة رسالة استقالته توثيقًا شخصيًا فحسب، بل شهادة فكرية على "وهم" ولادة مشروع صهيوني بلا أسس استعمارية وعلاقات عنيفة مع الفلسطينيين.

قد يكُون من المناسب بداية استعراض السيرة المهنية لكُون (١٨٩١-١٩٧١)، وهو مؤرخ وأكاديمي يهودي، ولد في براغ. انضم كُون إلى جمعية "بار كوخبا" (Bar Kochba Association)، وهي جمعية طلابية صهيونية في براغ، وتبنى الطرح الصهيوني الثقافي الذي وجد فيه فرصة لإعادة إحياء الروح اليهودية. كرَّس كُون فكره ونشاطه العملي للصهيونية، وعمل في منظمات يهودية وصهيونية في أوروبا وشغل منصب رئيس قسم الدعاية والإعلام في مكتب "كيرن هايسود" في لندن أربعَ سنوات قبل أن ينتقل إلى فرع المكتب في فلسطين عام ١٩٢٥ حيث استمر في العمل حتى استقالته عام ١٩٢٩.[2]

في فلسطين، وإلى جانب عمله في "كيرن هايسود"، ساهم كُون في تأسيس "بريت شالوم" (تحالف السلام) وكان أمين سرها،[3] وهي مجموعة تبنت الطرح ثنائي القومية في فلسطين. كما استمر كُون في الكتابة والنشر حول مواضيع عدة أبرزها الفكرة القومية، كما نشر مقالات فكرية وسياسية ينتقد فيها السياسة البريطانية والصهيونية في فلسطين وعلاقتها بالمسألة العربية. بعد استقالته من وظيفته والقطيعة الفكرية والعملية مع الصهيونية انتقل كُون عام ١٩٣٤ إلى الولايات المتحدة، حيث تفرَّغ للعمل الأكاديمي في العديد من الجامعات الأميركية. نشر كُون العديد من المؤلفات، تمحورت في معظمها حول القومية، منها: تاريخ القومية في الشرق (١٩٢٩)، والفكرة القومية: دراسة في الأصول والخلفيات (١٩٤٦).

* طالبة في برنامج الماجستير للدراسات الإسرائيلية- جامعة بيرزيت.

**رأى كُون [ثورة البراق] في الثورة اختبارًا للصهيونية عمومًا وللصهيونية الثقافية خصوصًا، التي انتهت إلى الفشل في الحفاظ على نفسها أمام التيار السياسي المهيمن، وبالتالي ولم يستثنِ التيار الثقافي من اللوم ولا سيما زملاءه في "بريت شالوم".**

اهتم كُون بموضوع القومية منذ تبنيه الصهيونيةَ التي كانت عنده تجسيدًا بلقومية اليهودية، كما تبنّى موقفًا مناهضًا للحرب والاستعمار منذ كان أسيرًا في روسيا في الحرب العالمية الأولى. واتجه بعد نهاية الحرب في ممارسته السياسية وفكره نحو محاولة العمل من داخل الصهيونية لتطبيق ونشر أفكاره ومبادئه. كانت أفكار كُون وتصوّره عن الصهيونية مبنيّان على التيار الصهيوني الثقافي، الذي رأى في فلسطين مركزًا للإحياء الروحي لليهودية في فلسطين، كما رفض الصهيونية السياسية وطرح الدولة اليهودية. كذلك وجد في "بريت شالوم" المكان الأنسب لتطبيق أفكاره ومشاركتها من خلال دعوته مع آخرين من أعضاء "الدائرة الراديكالية" في التحالف لتكون "بريت شالوم" فاعلًا سياسيًا ضمن الصهيونية في سبيل فتح باب الحوار والتفاوض مع العرب والفلسطينيين وليس مجرد مساحة للبحث والدراسة كما أرادها أعضاء آخرون أن تكون.

تعرَّض كُون بسبب أفكاره الناقدة للصهيونية السياسية والنزعة الصهيونية والإنجليزية العنيفة تجاه الفلسطينيين للهجوم من العديد من الجهات الصهيونية. ففي جريدة "دافار" الصهيونية العمالية الصادرة بتاريخ ٢٢ أيلول ١٩٢٩ صَدَر مقال قصير يردُّ مهاجمًا على مقالٍ سابق لكُون كان قد انتقد فيه الداعمين لسياسة العنف الإنجليزية. اعتبر مقال "دافار" نقد كُون لسياسة "القبضة الحديدة" الإنجليزية دعوة للتسامح الإنجليزي مع "مثيري الشغب" العرب، ودعوة لترك الأرض "غير المستغَلّة" للأغلبية العربية، ورأت في ذلك تخليًا عن الصهيونية في لحظة اختبار حاسمة للحركة.[٤] وانطلاقًا من هذا المقال حرَّض بعض الصهيونيين التصحيحيين على طرد كُون من منصبه في "كيرن هايسود".[٥] وبالفعل استقال كُون نتيجة لهذا الضغط من منصبه، إلا أن هذا الضغط لم يكن السبب الوحيد للاستقالة كما توضح الرسالة أدناه. كانت الاستقالة بداية الخطوات العملية التي اتخذها كُون في قطيعته مع الصهيونية ومغادرته فلسطين بلا عودة عام ١٩٣٤. قبل ذلك عاش كُون أزمة بين رفضه المبدئي للسياسات والممارسات الصهيونية وبين قيمه ومبادئه الشخصية التي دفعته بالأساس نحو تبني تعريف وتصور محدد للصهيونية. تكثفت أزمة كُون وتعمّقت في نهاية العشرينيات مع تصاعد عنف السياسة الصهيونية، التي ظل كُون على اطلاع عليها واحتكاك مباشر بها من خلال عمله في مكتب الدعاية والإعلام في "كيرن هايسود" من جهة، ونشاطه في "بريت شالوم" من جهة أخرى. وصلت هذه الأزمة ذروتها مع اندلاع ثورة البراق في آب عام ١٩٢٩ التي كانت بداية حسم موقف كُون وقطيعته مع الصهيونية.

لم يعتبر كُون أحداث البراق مجرد عنف تعسفي أو عَرَضي، بل اعتبرها رد فعل مشروعًا على السياسة الصهيونية والإنجليزية في فلسطين، كما أدرج الثورة في إطار الثورات الوطنية أو القومية للشعوب المستعمَرة. إذ كتب في مذكراته أن ما كان يخشاه من الميل الصهيوني نحو العنف "قد تحقق، والذي تحتّم حدوثه في أيّ وقت. إننا نُلام على ذلك لأننا لم نمارس أي سياسة مختلفة".[٦] كذلك رأى كُون [ثورة البراق] في الثورة اختبارًا للصهيونية عمومًا وللصهيونية الثقافية خصوصًا، التي انتهت إلى الفشل في الحفاظ على نفسها أمام التيار السياسي المهيمن، وبالتالي ولم يستثنِ التيار الثقافي من اللوم ولا سيما زملاءه في "بريت شالوم". فبعد استقالته من "كيرن هايسود" استمر كُون مدة عام في المشاركة في "بريت شالوم"، لكنه انفصل تدريجيًا عنها بعد الثورة، بسبب قناعته بأن هذه الجماعة لا تتحلى بالجدية الكافية لإحداث تغيير في السياسة الصهيونية الرسمية. استقال كُون من "بريت شالوم" في صيف

**«لاحقًا تبلورت هذه الأفكار لديّ في ما يُدعى بالمشكلة العربية. هنا كان بالنسبة لي محكّ اختبار الصهيونية. لم يكن ذلك مدفوعًا بأيّ تعاطف مع العرب أو أي تقديرٍ إيجابيٍّ لصفاتهم. إن ما عناني، وما يعنيني اليوم ليس العرب، بل اليهود ويهوديتهم وإثبات إنسانيتهم».**

عام ١٩٣٠، وكتب أنه لا يستطيع "البقاء هناك بعد الآن؛ فما ينمو هناك يتعارض تعارضًا تامًا مع مقاصدي، ويُستَخدم نشاطي داخل المجموعة [بريت شالوم] فقط لإسناد والتستّر على ما لا ينبغي التستّر عليه ولا دعمه."[٧]

في الرسالة المترجمة أدناه يفصل كُون دوافع استقالته لبرتولد فايفل (Berthold Feiwel), أحد مؤسسي "كيرن هايسود" وأول مدير عام له، بعد أن أرسل رسالة استقالة رسمية دون تفصيل الأسباب إلى آرتور هانتكه (Arthur Hantke)، مدير المكتب الرئيس لـ"كيرن هايسود" في القدس في فترة عمل كُون واستقالته. يتكرر محتوى الرسالة في الكثير من رسائل كُون الأخرى لأصدقائه في تلك الفترة، وفيها أبدى قلقه حول مآلات الصهيونية ودخولها في دوامة عنف لا نهائية، وقلقه المؤرق على مستقبل الصهيونية في فلسطين. وتعكس الرسالة رؤية كُون الثاقِبة لمستقبل الصهيونية وإسرائيل، التي رأى أن اقترانها واقتصارها على طرح الدولة القومية اليهودية، يعني أن قيامها واستمرارها مشروط بالعنف الاستعماريّ. كتب كُون في مذكراته يوم ٢٩ آب ١٩٢٩: "إن الصهيونية حركة قمعية، معادية للمجتمع وكابحة للحرية، على نحو كامل ومعلَن [...] وفي هذا الصدد لا يغيّر حسن نيّة قلّة من الأفراد شيئًا على الإطلاق".[٨]

**نَصّ الرسالة:[٩]**

٢١ تشرين الثاني ١٩٢٩

**العزيز السيد د. فايفل،**

اطّلعت على اهتمامك بقضيّة استقالتي في نسخة رسالةٍ موجهةٍ إليك من الدكتور هانتكه. أرفق إليك نسخةً من الرسالة التي بعثتُها إلى الدكتور هانتكه قبل يومين، والتي أُصرُّ فيها على استقالتي. لا أستطيع أن أشرح للدكتور هانتكه الأسباب التفصيلية لاستقالتي، لكنّي أودُّ أن أفصِّلها لك شخصيًا وبسريّة تامة، تقديرًا لدعمك الخيّر الودود الذي أبديتَه لي في مكتب "كيرن هايسود".

لقد بات من الأوضح لي مؤخرًا أن التوفيق بين السياسة الرسمية للمنظمة الصهيونية وموقف الغالبية الساحقة من الصهاينة وبين قناعاتي لم يعد ممكنًا بأيّ حالٍ من الأحوال، لذلك لم يعُد بإمكاني شَغل منصبٍ رسميٍّ قياديٍّ داخل المنظمة الصهيونية. إن الصهيونية التي آمنت بها منذ عام ١٩٠٩ لم تكن أبدًا صهيونيةً سياسية. لقد رأيتُ في الصهيونية، مع مجموعة من الأصدقاء، حركةً أخلاقية وروحية نستطيع من خلالها تحقيق قناعاتنا الإنسانية العامة، من سلمية وليبرالية وإنسانية. وعادة ما قوبلنا بالقول إننا لا نستطيع الدفاع عن السلمية والسياسة الأخلاقية دفاعًا كاملًا داخل الشعوب الأوروبية، لأننا عندئذ نُوسَم بأننا غرباء عن الشعب، بل وخونة. لقد تعيّن على صهيون أن يكون الموضع الذي تتحقق فيه تطلعاتنا الإنسانية.

إلا أن واقع الحركة الصهيونية والاستيطان اليهودي في فلسطين لا يمتُّ لكل ذلك بصلة. لقد كنتُ منذ

**«أود فقط أن أؤكد على هذه النقاط الثلاث، التي تشكك بها السياسة الصهيونية الرسمية، التي لا أستطيع المشاركة فيها طالما ظلت تصوِّر الحركة القومية العربية كأنها تحريض خبيث من جانب بعض كبار مُلّاك الأراضي. إنني أعرِف حقَّ المعرفة أن تصويرات مشابهة استُخدمت مرات لا تُحصى في الصحافة الإنجليزية والفرنسية الإمبريالية الأشدّ رجعية ضد الحركات القومية في الهند ومصر والصين».**

سنين، كما تعلم، أخوض داخل الحركة الصهيونية نضالًا من أجل تلك الأفكار، التي كانت بالنسبة لي مرادفةً للصهيونية ذاتها منذ البداية. لاحقًا تبلورت هذه الأفكار لديّ في ما يُدعى بالمشكلة العربية. هنا كان بالنسبة لي محكّ اختبار الصهيونية. لم يكن ذلك مدفوعًا بأيّ تعاطف مع العرب أو أي تقديرٍ إيجابيٍّ لصفاتهم. إن ما عناني، وما يعنيني اليوم ليس العرب، بل اليهود ويهوديتهم وإثبات إنسانيتهم. وفي هذا، كما بات واضحًا لي أكثر فأكثر، فشلت المنظمة الصهيونية فشلًا ذريعًا. كانت الثورة العربية القومية في آب ١٩٢٩ التجربة الحاسمة. إن تجاربَ على شاكلتها تعتبر تجارب كاشفة ودافعة باتجاه اتخاذ قرارات قد لا ندرك شدة إلحاحها في "الأوقات العادية"، إلا أنها تظلّ على القدر نفسه من الأهمية. لقد لاحت لنا في خضم الأزمة فرصةٌ لتبني موقف جديد ينطلق من الصدمة نحو إعادة النظر في الأسس الأخلاقية والروحية للصهيونية ومحاولة تقديم إجابات جديدة. إلا أن الفرصة لم تُغتنَم. يتعذر عليّ المضيّ في الطريق الذي قويت عليه عزيمة الغالبية العظمى من الصهيونيين. أما القلائل الذين يفكرون مثلي، فقد ألحَّت عليهم الضرورة لاتخاذ قرار صادق وواضح.

إنني بوصفي يهوديًا وإنسانًا، إنسانًا يهوديًا، أعلم أن هذين الجانبين في داخلي لا ينفصلان وأنهما يؤشران في اتجاه واحد: أنا داعٍ للسلام ومناهض للإمبريالية، أو ما يسمى في أميركا راديكاليّ. أود فقط أن أؤكد على هذه النقاط الثلاث، التي تشكك بها السياسة الصهيونية الرسمية، التي لا أستطيع المشاركة فيها طالما ظلت تصوِّر الحركة القومية العربية كأنها تحريض خبيث من جانب بعض كبار مُلّاك الأراضي. إنني أعرِف حقَّ المعرفة أن تصويرات مشابهة استُخدمت مرات لا تُحصى في الصحافة الإنجليزية والفرنسية الإمبريالية الأشدّ رجعية ضد الحركات القومية في الهند ومصر والصين، وباختصار في كلّ مكان بدا فيه أن الحركات القومية للشعوب المضطهدة تهدد مصالح القوى الاستعمارية. إنني أعرف مدى زيف ونفاق هذا التصوير. ولا يَسعُني قَط أن أشارك في ذلك، ولا سيما حين يتعلق الأمر بقضيّة شعب أعتبره بكل وَعيي شعبًا مختارًا، وبمستقبل حركة لا يمكنني تصوُّرها إلا قائمة على أسس أخلاقية. الوسائل تحدد الغاية. فإذا كانت الوسائل كذبًا وعنفًا، لا يمكن أن تبشِّر النتيجة بخير.

إننا نتظاهر بأننا الطرف البريء الذي تعرّض للاعتداء. لقد اعتدى علينا العرب في آب بالفعل. وبما أنهم لا يملكون جيوشًا، لم يكن بوسعهم الالتزام بلوائح الحرب. لقد ارتكبوا كلّ الأعمال الهمجية التي تميز الثورات الاستعمارية. لكننا مُلزَمون برؤية المُسببات الأعمق لذلك. لقد مضى على وجودنا في فلسطين اثنا عشر عامًا دون أن نكون قد بذلنا ولو محاولة واحدة جادة لكسب قبول الشعب الذي يسكن البلد أو للتفاوض معه. لقد اعتمدنا حصرًا على العنف العسكري البريطاني. كان لا بُدَّ من الأهداف التي وضعناها أن تُفضي بحكم طبيعتها إلى صراعات مع العرب، وتوجَّب علينا أن نقرّ بأنها سبب، بل سبب مشروع، لثورة قومية ضدنا. كان من الأجدر ألّا ندع الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ يُفرَض علينا من الخارج، بل أن نطوِّره ليصير أيديولوجيتنا الخاصة. وحين قَدِمنا إلى البلاد توجَّب علينا أن نُقَدِّم مقترحاتٍ دستورية تتيح لنا تطورًا ثقافيًا واجتماعيًا حرًا، دون إلحاق أضرار كبيرة بحقوق العرب وحرياتهم، ناهيك عن تدميرها. إلا أننا طوال اثني عشر عامًا تظاهرنا بأن العرب غير موجودين، وكنّا سعداء حين لم نُذَكَّر بوجودهم.

بعد الثورة تحقق للحركة القومية العربية لأول

**«إن لم نصل في وقت قريب إلى سلام مع العرب، وإن لم نَبذُل في سبيله كل الجهود متحرّين في ذلك الحقيقة والصدق، سيكون من الأفضل لنا الإقرار بانتفاء إمكانية تحقق الصهيونية بالمعنى الوحيد الذي تستَحِق أن تتحقق به. وإلا سنضطر لسنوات طِوال مواصلة بناء مشروعنا الاستيطاني على أفكار الدفاعية والعسكرة داخليًا وعلى شعارات دعائية خارجيًا».**

مـرة تنظيـم نفسـها واسـتنهاض كامـل الشـعب. وكان مـن واجبنـا أن نوقـف الحـرب المفتوحـة بـأسرع مـا يمكـن مـن خلال مقترحـات الـسلام، بـدل أن نلجـأ إلى كل الحيـل الملتفـة الممكنـة، إلا أنهـا لـم تُخمَـد سـوى بالقـوّة العسـكرية البريطانيـة. ومثـل القـوى في الحـرب العالميّـة، صرّحنـا برغبتنـا في إبـرام الـسلام فقـط عندمـا نكـون أقويـاء بمـا فيـه الكفايـة. أي أننـا، مثـل تلـك القـوى في الحـرب العالمية، نطمـح إلى سلام المنـتصر، أي إلى سلام نـملي فيـه على الخصـم مـا نريـده. إن كلّ طـرف يريـد الـسلام بالتأكيـد، بشرط أن يحصـل على مـا يعـتبره ضروريًّـا لمصلحتـه. وهنـا يبـتُّ الشـعب في مـا هـو ضروري بالنسـبة لـه، لا سـلطة أعلى ولا ضـمير أعلى. وبذلـك يمكـن للحـرب أن تسـتمر طـويلًا. لقـد نهـض دعـاة الـسلام الحقيقيـون ضـد هـذا الموقـف الـذي تبنتـه القـوى في الحـرب العالميـة، وضـد هـذه العقليـة. وكان سـيسرني لـو وُجـد بيننـا أيضًـا بضعـة مـن دعـاة الـسلام هـؤلاء. وليـت اليهـود يظهـرون في شـأنهم الخـاص ذاك القـدر مـن الشـجاعة التـي أظهرهـا مـثلًا دعـاة الـسلام الإنجليـز أثنـاء الحـرب العالميـة.

إن كل إرجـاء لعقـد الـسلام لا يجعـل الـسلام ممكنًـا أكثـر، بـل يُوسِّـع الهُـوة بين الشـعبين. فالحركـة القوميـة العربيـة تنمـو وسـتواصل النمـو. وفي غُضـون وقـت قـصير سـتزداد صعوبـة التفاهـم معهـا أكثـر مـن اليـوم، حتـى إن كان عددنـا عندهـا أكثـر بـعشرات الآلاف في الـبلاد. وأعتقد أن بإمكاننـا البقـاء في فلسـطين والنمـو فيهـا فترة أطـول، وذلك بمسـاعدة إنجليزيـة ولاحقًـا بفضـل حرابنـا الخاصـة، التـي نسـميها بخـزي هاغاناه [دفـاع]، لأننـا لا نتـحلى بالشـجاعة الكافيـة لممارسـة سياسـتنا الخاصـة. سـتكون الوسـيلة قـد حـددت الغايـة. لـن يكـون في فلسـطين اليهوديـة شيء مـن صهيـون الـذي ناضلـت في سـبيله. لا يـزال بإمكاننـا اليـوم التوصُّـل مـع العـرب إلى تسـوية تضمـن سلامًـا حقيقيًـا. أرفـق لـك مسـودة حضرتهـا بهـذا الخصـوص. لا يُعطـى اليهـود بموجـب هـذه المسـودة دولـة يهوديـة، لأنهـا لا يمكن أن تُقـام سـوى على أرض بلا شـعب. إلا أنهـا تضمـن لليهـود مركـزًا قوميًـا بوصفهـم شـعبَ دولـةٍ يتمتـع بإمكانيّـات تطـور ثقـافي كاملـة، وببنيـة اجتماعيـة متكاملـة ومكتفيـة ذاتيًّـا. ورغـم أن ذلـك لا يعـدو عـن كونـه أملًا غامضًـا لا يبرّره الييشـوف الحـالي بـأي وجـه، فإنـه قـد يكـون مركـزًا تنبثـق منـه محفـزات فكريـة، كمـا سـيكون بلا شـك نقطـة الالتقـاء الجامعـة ليهـود جميـع البلـدان، وعمـلَ النهضـة اليهوديـة ليهوديـة موحَّـدة، ورمزهـا، ولعلّـه يكـون محـلّ فخرهـا. وفقًـا لمقترحـي ينشـأ هـذا المركـز القومـي مـزوّداً بجميـع الضمانـات الدوليـة اللّازمـة، دون تقييـد مفـرط للتطلعـات المشروعـة للشـعب العربـي في فلسـطين نحـو الحريـة وإمكانـات التطـوّر. وقـد عرضـتُ هـذه المسـودة حتـى الآن على أقـرب أصدقائـي فقـط. وفي حـال اعتقـدتَ أنهـا قـد تحظـى بـأي قيمـة، أجيـز لـك أن تعرضهـا على السـادة وايزمـان وفيلكـس روزنبلـوت وكابلانسـكي والـسير ويندهـام.

إن لـم نصـل في وقـت قريـب إلى سلام مـع العـرب، وإن لـم نَبـذُل في سـبيله كل الجهـود متحرّيـن في ذلـك الحقيقـة والصـدق، سـيكون مـن الأفضـل لنـا الإقـرار بانتفـاء إمكانيـة تحقـق الصهيونيـة بالمعنـى الوحيـد الـذي تسـتَحِق أن تتحقـق بـه. وإلا سـنضطر لسـنوات طِـوال مواصلـة بنـاء مشروعنـا الاسـتيطاني على أفـكار الدفاعيـة والعسـكرة داخليًـا وعلى شـعارات دعائيـة خارجيًـا. سـيكون مـن الأفضـل أن تَبتعِـد الصهيونيـة عـن الشـعارات والدعايـة ووسـائل القـوة، وأن تُشـيّد بتـأنٍّ وعضويّـة مـا هـو قائـمٌ اليـوم، ومـا يجسِّـد بالفعـل الوطـن القومـي اليهـودي في سـماته الجوهريّـة، مُمتنعـةً عـن أي نشـاطٍ كـبيرٍ في فلسـطين، ومُتجهـةً إلى تلـك المهمـة الأصعـب: إحيـاء القلـوب، الـذي وَحـدَه يؤسـس لمحبـةٍ مُخلِصَـةٍ لصهيـون ولبنـاءٍ حقيقـيّ. إننـا لا نـرى في

استيطان فلسطين وإقامة مجتمعٍ هنا غايةً في حدّ ذاتها، بل مجرّد وسيلةٍ لبعث اليهودية، ولإعادة تأجيج طَبعِها الخلّاق، الذي لطالما تجلّى في مجال الأخلاق والسياسة الأخلاقية حصرًا. لا يتعلق الأمر لدينا بحَشد بضع مئات الآلاف من اليهود في فلسطين، بل بِبَعث روح جديدة في الجسد الكامل لليهودية في سائر بلاد الشتات. لقد قَطَعت الصهيونية شوطًا كبيرًا في هذا الاتجاه. وبتعبير أَدَق، كانت الصهيونية أبرز مُعبِّر عن موجة الوعي التي اجتاحت اليهودية مجددًا منذ أربعين عامًا، وأفضَت إلى وحدة مكانية وروحية جديدة. لقد توحدت اليهودية الناهضة من جديد على محبة صهيون. لا يتعلق الأمر هنا بالعدد، ولن يكون كذلك أبدًا، بل يكمن الجوهر في شدة هذه المحبة، وبالأخص في التوجه والروح اللذين يسودان صهيون ويتحققان فيه، لأن ما يهم هو التنفيذ وليس الكلام الفارغ والشعارات. بمعزل عن العدد يمكن لصهيون أن يجاهِر بقوة وشجاعة بعقيدته النقيّة، ويصير القوة المُنيرة الجَليلة في قلب اليهودية الجديدة. فحتى إن بلغ العدد مئات آلاف، إذا كان صهيون المتجسد في فلسطين اليهودية [الحاليّة]، التي تشبه غيرها من دول الأرض في مساوئها على بعض من السلمية وبعض من الإنسانية دون أن تحياها بكاملها، فإنه سيكون حلقة في تاريخ اليهودية، يُبتَلى فيها عمل جيل مفعم بالحنين والآمال بخداع وأكاذيب الأجيال اللاحقة.

هذه الرسالة مخصصة لكَ وحدَك. ولا تستدعي ردًّا. إنها تتعلق بأسئلة يتعيّن على كل شخص الإجابة عنها بناء على آخر قرارات جوهره، ويستطيع أن يجيب عنها وَحدَه ولِنفسِه فقط. باستقالتي من كيرن هايسود أُنهي حقبة من حياتي. عشرون سنة قضيتُها في النشاط الصهيوني حصرًا، منها عشر سنوات في كيرن هايسود، وهي ليست بفترة قصيرة في عُمر الإنسان. وإزاء مرحلة كهذه، يدين المرء بالمساءلة لنفسه ولأصدقائه. لقد كتبت أعلاه عن الطريق التي قطعتها، أما عن الطريق الجديدة أمامي فلا أعرفُ سوى القليل. إن مسارات السياسة القومية القديمة، كما سلَكَتها الشعوب الأوروبية في القرن التاسع عشر، والشعوب الشرقية في القرن العشرين، وكما تبعهم فيها الشعب اليهودي، لا يمكن أن تُسلَك بعد الآن. علينا البحث عن طرق مختلفة وجديدة تمامًا. أحيانًا يجتاحني أملٌ فخور بأنَّ يهودًا قد يقودون هذه الطرق الجديدة، يهودًا واعين بشعبهم.

لا أعتقد أنني أستطيع الاستقالة دون أن أكون قد أوضحت أسبابي لأحد كبار شخصيات المنظمة. أنت الوحيد الذي أرجو منه التفهُّم، وليس ذلك بفضل علاقتنا الشخصيّة فحسب.

مع أحرّ أمانيَّ وتحياتي

المُخلِص لكم بصدق.
هانس كُون

## الهوامش

١ كيرن هايسود (الصندوق التأسيسي - الجباية الموحدة لإسرائيل): مؤسسة مالية انبثق تأسيسها عن قرار المؤتمر الصهيوني العالمي في لندن عام ١٩٢٠. أعلن عن هذا الصندوق عام ١٩٢١ وكان يهدف إلى تجنيد الأموال من مختلف الجهات اليهودية لخدمة أهداف المشروع الصهيوني في فلسطين، من خلال جمع التبرعات وحملات الجباية، وتعود مداخيل الصندوق إلى مالية المنظمة الصهيونية. استمر عمل كيرن هايسود بعد تأسيس إسرائيل وسُجِّل الصندوق رسميًا كشركة إسرائيلية عام ١٩٥٦.

٢ Joseph B. Schechtman, The Life and Times of Vladimir Jabotinsky (Silver Spring, MD: Eshel, 1986), 375; Martin Gilbert, Israel: A History (London: Doubleday, 1998), 46.

٣ بريت شالوم (تحالف السلام): جمعية صغيرة تأسست في القدس عام ١٩٢٥ على يد عدد من المثقفين اليهود. اختلفت أهداف المجموعة تبعًا لتوجهات أعضائها، فمنهم من اعتبرها مجموعة للبحث والدراسة لخدمة الحركة الصهيونية، ومنهم من أرادها أن تكُون فاعلًا سياسيًا صهيونيًا يهدف إلى بلورة برنامج سياسي كامل ومفصل تكُون نهايته إقامة دولة ثنائية القومية ينال فيها كل شعب من الشعبين الحقوق كاملة دون النظر إلى العدد أو النسبة على الإطلاق. وانتهى نشاط المجموعة مع مطلع ثلاثينيات القرن العشرين.

٤ أنظري، صحيفة "دافار"، العدد ١٣١١، ٢٢ أيلول ١٩٢٩. الرابط: https://tinyurl.com/7wbeh9yh

٥ Adi Gordon، *Toward Nationalism's End: An Intellectual Biography of Hans Kohn*، Waltham, Massachusetts: Brandeis University Press، 2017.

٦ Hans Kohn, *Diary*, August 26, 1929, HKC-LBI, box 18, folder 4, as quoted in Adi Gordon, *Toward Nationalism's End: An Intellectual Biography of Hans Kohn* (Waltham, Massachusetts: Brandeis University Press, 2017), 146.

٧ Hans Kohn, Diary, September 3, 1929, HKC-LBI, box 18, folder 4, as quoted in Gordon, 147.

٨ Hans Kohn, *Diaries and Appointment Calendars*, 1932–1933, Box 5, Folder 26b, Hans Kohn Collection, AR 259, Leo Baeck Institute, available online: https://archives.cjh.org/repositories/5/archival_objects/1012296

٩ النص الأصلي متوفر على الرابط:

https://archive.org/details/hanskohn_07_reel07/page/n681/mode/1up.